

أساليب النبيّ في معالجة الغلو عند الشباب

أ.د. عبد القادر مصطفى المحمدي

أستاذ الحديث النبوي وعلومه في قسم الحديث النبوي

كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية في بغداد

العراق

geem_wer@yahoo.com

المقدمة

إِنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، أما بعد:

فإن الشباب هم حجر الزاوية في المجتمع وعماده، صلاحه من صلاحهم، وفساده من فسادهم، منهم العلماء والمفكرون والقادة، والتجار والأساتذة... وهم حماة الدين والمجتمع، أول المضحين، وعليهم تقوم الدعوات ويسواعدهم تبنى الأوطان، قال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: {إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى} (سورة الكهف: ١٣) "فذكر تعالى أنهم (فتية) وهم الشباب، وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ، الذين قد عتوا وعسوا في دين الباطل؛ ولهذا كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم شباباً"^(١).

وهؤلاء الشباب هم المادة الخام لكل شيء، للخير أو للشر، فالطاقات الكامنة داخل الشباب قد تكون خيراً للبلاد والعباد، متى ما استعملت في الخير وتوجهت الوجهة الصالحة، واستنارت بنور العلم والهدى، وقد تكون شراً مستطيراً تطيح بالبلاد والعباد، وتدمر المجتمع إذا تركت تلك الطاقات للعابثين المنحرفين، نسأل الله العافية. ثم تأمل قول عمر رضي الله عنه لقبیصة بن جابر: "إني أراك شاب السن، فسيح الصدر، بين اللسان، وإن الشاب يكون فيه تسعة أخلاق حسنة وخلق سيئ، فيفسد الخلق السيئ الأخلاق الحسنة، فإياك وعثرات الشباب"^(٢).

وهذه العثرات بعضها يتعلق بالسلوك، وبعضها بالعبادة، وبعضها بالعقيدة، وأخطرها تلك التي تمس العقيدة، فليس بعدها خطر إلا الكفر والعياذ بالله، وهل قتل عثمان وعلي رضي الله عنهما وغيرهما من الصحابة إلا بتأويلات من أمثال هؤلاء الغلاة؟ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأئمة أهل البدع أضر على الأمة من أهل الذنوب"^(٣).

وقال في عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي رضي الله عنه: "هو وغيره من الخوارج مجتهدين في العبادة، لكن كانوا جهالاً فارقوا السنة والجماعة"^(٤)، وقال بعض أهل العلم: "ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وتقصير، وإما إلى مجاوزة وغلو ولا يبالي بأيهما ظفر، وقد اقتطع أكثر الناس إلا أقل القليل في هذين الواديين: وادي التقصير ووادي المجاوزة والتعدي والقليل منهم جداً الثابت على الصراط الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقوم قصر بهم عن الإتيان بواجبات الطهارة وقوم تجاوز بهم إلى مجاوزة الحد

(١) تفسير ابن كثير ١٤٠/٥.

(٢) إسناده صحيح، أخرجه عبد الرزاق في المصنف، كتاب المناسك، باب: الوبر والضيء ٤/٤٠٧ رقم (٨٢٤٠)، والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الحج باب: جزاء الصيد بمثل من النعم ١٨١/٥ رقم (٩٦٤٣).

(٣) المجموع ٢٨٤/٧.

(٤) المصدر نفسه.

بالوسواس... وقصر يقوم حتى امتنعوا من ذبح عصفور وشاة ليأكلوه، وتجاوز بآخرين حتى جراهم على الدماء المعصومة"^(١).

المبحث الأول: أنواع الغلو

للغلو أجناس عدة، تشملها أنواع رئيسة هي:

المطلب الأول: الغلو في الاعتقاد:

ظهر الغلو في هذا الجانب في وقت مبكر جداً، تولى كبره اليهود كمعادتهم متمثلاً بعبد الله بن سبأ اليهودي الذي أثار أول فتنة من هذا القبيل في الأمة، لما زعم أنّ علياً بن أبي طالب رضي الله هو إله -تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً- وصار ابن سبأ هذا رأساً لفرقة ضالة تسمى السبائية نسبة إليه، وهو رأس الفتنة، إذ أظهر الإسلام وأبطن الكفر، ليفسد الدين بمكره وخبثه، كما فعل بولص بدين النصاري؛ فأظهر التنسك أولاً ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعده، وسعى في فتنة عثمان رضي الله عنه وقتله، ثم أظهر الغلو في علي رضي الله عنه لما قدم الكوفة، وادعى النص عليه والوصية له، ليتمكن بذلك من هدفه، ولما بلغ ذلك علياً رضي الله عنه طلبه لقتله فهرب منه إلى قرقيسيا^(٢).

فهذا الغلو العقدي الذي وقعت فيه بعض الفرق في وقت مبكر من التاريخ الإسلامي أدى بهم إلى هذا الانحراف العقدي الخطير، وهو في الحقيقة نقض لمفهوم الوحدانية، فالنصوص التي أوردتها كتبهم المعتمدة في تأليه الأشخاص، وهو نتيجة متوقعة لكل من غالى في نبي أو ولي أو تقي، وهل أورد النصاري ما أوردتهم إلا الغلو في عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام؟ لهذا حذر رب العزة جل جلاله في غير ما آية الأمة من الغلو تصريحاً أو تلميحاً، وكذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من الغلو، فأخرج ابن ماجه عن أبي مسعود قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فكلمه، فجعل ترعد فرائضه، فقال له: "هون عليك فإنني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد"^(٣)، فالنبي صلى الله عليه وسلم رسّخ هذه القاعدة المهمة في الاعتدال والتوسط في التعامل مع شخصه صلى الله عليه وسلم خوفاً على الأمة من الغلو الذي أردى النصاري في مهاوي الشرك، إذ غالوا في عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام حتى جعلوه ولداً لله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ومن ذلك ما أخرجه البخاري من حديث عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله"^(٤).

(١) إغاثة اللفهان، ابن قيم الجوزية ١/ ١٢٤.

(٢) ينظر السنة لعبد الله بن أحمد ٥٦٦/٢، والإبانة لابن بطة ص ٣٣٤، ومجموع الفتاوى ٤/ ٤٠٧.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأطعمة، باب: القديد ١١٠٢/٢ (٣٣١٢)، والحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، باب: سورة ق. وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه! والصحيح فيه مرسلاً -دون ذكر أبي مسعود عليه السلام- نصّ على ذلك ابن عدي في الكامل ٦/ ٢٨٦، الدارقطني في العلل كما نقله الخطيب البغدادي في تاريخه ٦/ ٢٧٧. وغيرهما.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب: قوله تعالى: "واذكر في الكتاب مريم" ٣/ ١٢٧١ (٣١٨٩).

فدقة النهي والتحذير من قبل النبي صلى الله عليه وسلم واضحة من التشبه بالنصارى، لأن بداية الغلو يبدأ من الإفراط في الحب أو البغض، والغلو رأس الطريق إلى الانحراف، والإطراء هو الإفراط في المدح، ومعناه: "لا تصفوني بما ليس فيّ من الصفات تلتمسون بذلك مدحي كما وصفت النصارى عيسى بما لم يكن فيه فسبوه إلى أنه ابن الله فكفروا بذلك وضلوا"^(١).

والنهي عن هذا الغلو يشمل التفريط والإفراط^(٢)، وتأمل في تأصيل مفهوم الاعتدال في تعامل الأمة مع نبيها صلى الله عليه وسلم، فالوحدانية لله تعالى، المتفرد بالعبادة والمستحق لها، وكل الرسل إنما أرسلوا ليثبتوا هذه المسألة، يقول شيخ الإسلام: "وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحقق هذا التوحيد لأمته ويحسم عنهم مواد الشرك؛ إذ هذا تحقيق قولنا لا إله إلا الله فإن الإله هو الذي تأله القلوب؛ لكمال المحبة والتعظيم والإجلال والإكرام والرجاء والخوف حتى قال لهم: "لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد؛ ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد"^(٣)، وقال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال: "أجعلني لله ندّاً؟ بل ما شاء الله وحده"^(٤)... وقال لابن عباس: "إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، جف القلم بما أنت لاقٍ؛ فلو جهدت الخليفة على أن تنفك لم تنفك إلا بشيء كتبه الله لك، ولو جهدت أن تضرك لم تضرك إلا بشيء كتبه الله عليك"^(٥)... وقال في مرضه: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"^(٦)، يحذر ما صنعوا قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره؛ ولكن كره أن يتخذ مسجداً"^(٧).

وهذا جزئياً لا يعني الانتقاص من النبي صلى الله عليه وسلم -حاشاه- أو التقليل من قيمته فالنبي صلى الله عليه وسلم هو سيد ولد آدم أجمعين، ولكن الله تعالى أراد لهذه الأمة المعصومة أن تحافظ على مسارها الصحيح فهي آخر الأمم، ونبيها آخر الأنبياء، ولا سيما أن حب النبي صلى الله عليه وسلم قد استحوذ على قلوب أصحابه فملاها على أفعالهم وسلوكهم فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يحصن أمته مما وقع فيه أتباع عيسى عليه السلام،

(١) تفسير القرطبي ٢٤٧/٥.

(٢) تفسير أضواء البيان، الشنقيطي ٣٦٢/١.

(٣) الحديث هنا بالمعنى وهو في مسند أحمد ٣٩٣/٥ وغيره من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: أتى رجل النبي ﷺ فقال: إني رأيت في المنام إني لقيت بعض أهل الكتاب فقال نعم القوم أنتم لولا إنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم و سلم قد كنت أكرهها منكم فقولوا ما شاء الله ثم شاء محمد".

(٤) أخرجه بهذا اللفظ ابن خزيمة في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: استحباب إتيان المرأة زوجها وولدها صدقة

التطوع ١٠٦/٤ (٢٤٦١).

(٥) أخرجه أحمد ٢٩٣/١، والترمذي، صفة القيامة، باب: (٥٩) حديث (٢٥١٦) وغيرهما.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: ما يكره من اتخاذ القبور مساجد (١٢٦٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور (١١٢٣) وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً.

(٧) المجموع ٢٧/١.

ولهذا حذر أئمة من إتباع سبيل النصارى أو اليهودي في المبالغة والإفراط في تعظيم أنبيائهم وأوليائهم فقال: "لا تتخذوا قبري عيداً"^(١)، وغيرها من الأحاديث.

وهذه التربية العقائدية السامية لم تدع مجالاً للغلو والتفريط في كل الظروف، فأخرج البخاري من حديث الربيع بنت معوذ قالت: دخل عليّ النبي صلى الله عليه وسلم غداة بُني عليّ فجلس على فراشي كمجلسك مني، وجويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر، حتى قالت جارية: وفيما نبيّ يعلم ما في غدٍ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تقولي هكذا، وقولي: ما كنت تقولين"^(٢).

فهذه الجارية كانت تنشد في عرس، ولكنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يدع الكلمة تمر هكذا دون تنبيه وتعليم؛ لأنّ المسألة تتعلق بالله تعالى وصفاته، وأخرج أحمد عن أبي أمامة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوكئ على عصا فقمنا إليه، فقال: "لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضاً"^(٣)، لهذا حرج النبي صلى الله عليه وسلم أشد التحرج من الغلو في شخصه وذاته صلى الله عليه وسلم؛ لأن الغلو فيه صلى الله عليه وسلم هو رأس الانحراف كما قلنا، وليس هذا الاحتراز مقصوداً على النبي صلى الله عليه وسلم بل كان الصحابة الكرام والسلف الصالح على هذا المنوال نفسه، وقصة علي رضي الله عنه لما أتى بالزنادقة الذين غالوا فيه حتى قالوا بالوهيته أمر بتحريقهم بالنار.

المطلب الثاني: الغلو في العبادة

لما شرع الله العبادة للناس إنما أراد إصلاحهم وتنظيم شؤون حياتهم، فالعبادات هي محطات تزود إيمانية تجعل الإنسان ما ينفك من عبادة إلى عبادة، ومما ميز الإسلام ودعوته أنّه دين حياة وآخرة، فليس الرجل رجل أحدهما، وإنما رجلهما، فلا رهبانية ولا صومعة وإنما حياة المسلم كلها عبادة ما دامت نية هذا العامل لله تعالى، فكل سكون وحركة هي لله تعالى وحده، فالعمل عبادة، والأكل عبادة، والصوم عبادة، وحتى اللعب قد يكون عبادة، وكل مفاصل الحياة هي عبادة، حتى الرجل يقضي وطره من أهله صدقة، فقد أخرج مسلم من حديث أبي ذر: أنّ ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم؟ قال: أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إنّ بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهى عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر"^(٤).

(١) أخرجه أحمد ٣٦٧/٢، وأبو داود في سننه كتاب المناسك، باب: زيارة القبور ١٦٩/٢ برقم (٢٠٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: شهود الملائكة بدر ١٤٦٩/٤ برقم (٤٠١)، وغيره.

(٣) المسند ٢٥٣/٥.

(٤) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة ٨٢/٣ (٢٣٧٦).

إذن فمفهوم العبادة في الإسلام واسع، واضح، سهل، يسير، بلا إفراط ولا تفريط ومن وفقه الله لطاعته ويسر له السبيل فإنّ كل سكناته وحركاته صدقات، والعبادة هي صلة بين الإنسان وربه جل جلاله، وهذه الصلة مثل منظم الماء فلو تركت منظم الماء دون ضبط وحاولت سقي الأرض بغير ما نظام واعتدال -مثلاً- فإنّ الماء سيغرق كل شيء ويهلك الحرث والنسل، وهكذا العبادة التي لا تنضبط بضوابط الشرع (الكتاب والسنة)، فإنها ستتحول إلى غلو وإفراط يذهب بالأجور، ويحول الطاعات إلى معاصي والعياذ بالله؛ لذا عنون البخاري رحمه الله تعالى باباً في صحيحه فقال: (باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع)^(١) فقرن رحمه الله تعالى الغلو بالبدع، وفيه إشارة عظيمة منه رحمه الله تعالى إلى خطر الغلو ثم أورد حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال فقال له رجال من المسلمين فإنك يا رسول الله تواصل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيكم مثلي إني أبيت يطعمني ربي ويسقين"، فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال، واصل بهم يوماً ثم رأوا الهلال فقال: "لو تأخر لزدتكم" كالمنكي بهم حين أبوا^(٢)، وتأمل في قول الراوي: (كالمنكي لهم)، وفي رواية: (كالمنكل لهم)، وفي أخرى: (كالتنكيل لهم)، وكل هذا لأنهم غالوا في صيامهم، فأراد صلى الله عليه وسلم أن ينبههم إلى ذلك.

وقد وضّح مثل ذلك سيدنا سلمان لما أنكر على أبي الدرداء انقطاعه عن أهله وعزوفه عنهم، فأخرج البخاري من حديث عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال: كل فيني صائم، قال: ما أنا بأكل حتى تأكل فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال: نم فنام، ثم ذهب يقوم فقال: نم فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن، قال: فصليا، فقال له سلمان: إنّ لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "صدق سلمان"^(٣).

وأخرج الشيخان وغيرهما من حديث أنس صلى الله عليه وسلم قال: جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا أئین نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله أتي لأخشاكم الله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني"^(٤).

(١) الصحيح ١١٠٤/٣، كتاب الجهاد باب: (١٦١).

(٢) الصحيح ١١٠٤/٣، كتاب الجهاد، باب: (ما يكره من التنازع..) حديث (٦٨٦٩).

(٣) صحيح البخاري كتاب الصيام، باب: من أقسم على أخيه ليفطر ٦٩٤/٢ رقم (١٨٣٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح ١٩٤٩/٥، رقم (٤٧٧٦). ومسلم، كتاب النكاح، باب

استحباب النكاح ١٠٢٠/٢، رقم (١٤٠١)، وغيرهما

قال الحافظ في الفتح: "والمراد من ترك طريقي وأخذ بطريقة غيري فليس مني، ولمح بذلك إلى طريق الرهبانية فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى وقد عاجهم بأنهم ما وفوه بما التزموه، وطريقة النبي صلى الله عليه وسلم الحنيفية السمحة فيفطر ليتقوى على الصوم وينام ليتقوى على القيام ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل، وقوله فليس مني إن كانت الرغبة بضرب من التأويل يعذر صاحبه فيه فمعنى "فليس مني" أي: على طريقي ولا يلزم أن يخرج عن الملة، وإن كان إعراضاً وتنطعاً يفضي إلى اعتقاد أرجحية عمله فمعنى فليس مني ليس على ملتي؛ لأن اعتقاد ذلك نوع من الكفر"^(١) فالعبرة في العبادات الكيف لا الكم فليست العبرة بالكثرة والتلاوة، وإنما العبرة بموافقتها الشرع.

ثم تأمل في الطريقة المثلى في علاج بوارد الغلو في العبادة إذ أخرج البخاري من حديث عبد الله بن عمرو قال: "أنكحني أبي امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنته فيسألها عن بعليها فتقول: نعم الرجل من رجل لم يظأ لنا فراشاً ولم يفتش لنا كنفاً منذ أتيناها فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: "القي به"، فلقيته بعد، فقال: كيف تصوم؟ قال: كل يوم، قال: وكيف تختم؟ قال: كل ليلة، قال: "صم في كل شهر ثلاثة واقراً القرآن في كل شهر"، قال: قلت: أطيق أكثر من ذلك؟ قال: "صم ثلاثة أيام في الجمعة"، قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: "أفطر يومين وصم يوماً"، قال: قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: "صم أفضل الصوم، صوم داود، صيام يوم وإفطار يوم، واقراً في كل سبع ليال مرة"، فليتني قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذاك أني كبرت وضعفت فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار، والذي يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياماً، وأحصى وصام مثلن كراهية أن يترك شيئاً فارق النبي صلى الله عليه وسلم عليه"^(٢).

فالنبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يبين لعبد الله أنّ الحياة الأسرية وواجباتها عبادة، بل أحياناً تكون الأعباء الأسرية أكثر أجراً من القيام والصيام... فأخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وأحسبه قال"^(٣): كالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر"^(٤).

فالنبي صلى الله عليه وسلم أسس لهذا المنهج الوسط بعيداً عن الإفراط أو التفريط، حتى في مسائل ربما يعدها بعض القوم ليست ذات بالٍ، فروى ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة العقبة وهو على ناقته القط لي حصي فلقطت له سبع حصيات هن حصي الخذف فجعل ينفضهن في كفه ويقول: "أمثال هؤلاء فارموا"، ثم قال: "يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٤/٢٩٠.

(٢) صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن، باب: كم يقرأ من القرآن ٤/١٩٦٤ (٤٧٦٥).

(٣) الشك من القعني.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: الساعي على الأرملة والمسكين ٥/٢٢٣٧ رقم (٥٥٤٨) ومسلم -واللفظ له-

كتاب الزهد والرقائق، باب: الإحسان إلى الأرملة ٤/٢٢٨٦ (٢٩٨٢). وغيرها.

الدين" ^(١)، حتى في الحصيات التي ترمى بها الجمرات حض رسول الله صلى الله عليه وسلم على التوسط والاعتدال والابتعاد عن الغلو، والسؤال الذي قد يدور في البال: ما علاقة الغلو في الدين وانحراف الأمم بحصيات صغيرات؟ والجواب بكل وضوح: أنها مفتاح للمغالاة والتطرف، والحقيقة أنّ بداية انحراف الخوارج فكراً واعتقاداً هو التقعر والغلو في العبادات.

وأخرج الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: "ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل! قد خبت وخسرت، إن لم أكن أعدل"، فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضيه، وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدرر ويخرجون على حين فرقة من الناس"، قال أبو سعيد فأشهد أنني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهد أنّ علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأقي به حتى نظرت إليه على نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي نعت ^(٢)، وتأمل في قوله صلى الله عليه وسلم: "يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم..."، ففيه إشارة إلى المبالغة في العبادات بنحو مبالغ فيه، والله اعلم.

المطلب الثالث: الغلو في السياسة

اعني به المبالغة في المواقف السياسية، واعني بها السياسية الشرعية (المنضبطة بالشرع)، من مفاوضات وعلاقاته دولية وغيرها، فالإسلام دين عالمي ومن أهم مميزاته (العالمية)، فالتوسط والاعتدال في المواقف السياسية هي من أهم سمات المنهج النبوي، ومثاله: ما أخرجه الشيخان من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنّ أبا سفيان بن حرب أخبره وكان ابن الناذور صاحب إيلياء وهرقل سقفا على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء... وفيه أن هرقل: "دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنّ عليك إثم الأريسيين... إلخ، قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات

(١) أخرجه أحمد ٢١٥/١، وغيره.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب: علامات النبوة ٣/١٣٢١ (٣٣٤١)، ومسلم كتاب الزكاة، باب: ذكر الخوارج

وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر أمرُ ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر! فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام..."^(١).

وتأمل في قوله صلى الله عليه وسلم: (عظيم الروم) فاختار عبارة مؤثرة في السامع لتلين موقفه وتجعله يسمع بقلب واعٍ ثم في اختيار الآية: ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ...﴾ اختياراً موفقاً، بأسلوب جمع بين الوضوح في الطرح والدقة في الهدف والمحافظة على مشاعر المخاطب، وهذه الموازنة صعبة جداً تحتاج إلى توفيق من الله تعالى.

ومن ذلك ما أخرجه مسلم من حديث البراء: "لما أحصر النبي صلى الله عليه وسلم عند البيت صالحه أهل مكة على أن يدخلها فيقيم بها ثلاثاً، ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح السيف وقرابه، ولا يخرج بأحد معه من أهلها، ولا يمنع أحداً يمكث بها ممن كان معه، قال لعلي: "اكتب الشرط بيننا: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله"، فقال له المشركون: لو نعلم إنك رسول الله تابعناك؛ ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فأمر علياً أن يمحاها، فقال علي: لا والله لا أمحاها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرني مكانها"، فأراه مكانها، فمحاها وكتب: "ابن عبد الله" فأقام بها ثلاثة أيام فلما أن كان يوم الثالث قالوا لعلي: هذا آخر يوم من شرط صاحبك فأمره فليخرج فأخبره بذلك فقال (نعم) فخرج"^(٢).

وتأمل ههنا في موقف علي رضي الله عنه لما تخرج في محو كلمة (رسول الله) من الكتاب (الصلح) ثم يأمره صلى الله عليه وسلم أن يدلّه على مكانها فمحاها، فهذا الموقف من علي رضي الله عنه (الشاب) عاجله النبي بحكمة عالية وبسهولة وسلاسة (أرني مكانها) لأنه صلى الله عليه وسلم لا يقرأ ولا يكتب، وقل مثل ذلك في تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع عمر رضي الله عنه من أهل الصلح فإنه كان معارضاً لكثير من بنوده^(٣). إذ عالج النبي صلى الله عليه وسلم استفهام عمر رضي الله عنه بطريقة رائعة، فقال له أولاً: "إن الله لن يضيعني"، ثم قرأ عليه ما نزل عليه في الحادثة من تبشير بالفتح ليهدئ من روعه ويطمئن قلبه، فتأمل! لم يتهمه بالمعارضة وإثارة الفتن أو غيرها من التهم بل عالج الموقف بمهدي عظيم وأسلوب رائع.

المطلب الرابع: الغلو العسكري

أخرج أحمد وغيره من حديث جابر رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "رأيت كأني في درع حصينة ورأيت بقراً منحرة فأولت أن الدرع الحصينة المدينة، وأن البقر هو والله خير، قال: فقال لأصحابه: لو أننا أقمنا بالمدينة فإن دخلوا علينا فيها قاتلناهم"، فقالوا: يا رسول الله والله ما دخل علينا فيها في الجاهلية فكيف يدخل علينا فيها في الإسلام، قال عفان في حديثه: فقال: شأنكم إذاً، قال: فلبس لأتمته قال: فقالت الأنصار:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي ٧/١ رقم (٦)، ومسلم كتاب الجهاد، باب: كتاب النبي ﷺ إلى هرقل ١١٧/٩ (١٧٧٣) وغيرهما.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الجهاد، باب: صلح الحديبية ١٤٠٩/٣ (١٧٨٣) وغيره.

(٣) تنظر القصة بتمامها في صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة ٩٧٤/٢ (٢٩٤٥).

رددنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيه، فجاءوا فقالوا: يا نبي الله شأنك إذا فقال إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل" (١).

فالشباب ههنا أخذتهم العاطفة الجياشة في لقاء العدو والنيل منهم، فأثروا الخروج على الانتظار حتى نزل النبي صلى الله عليه وسلم عند رغبتهم ووافقهم على الخروج، وهنا نكتة في غاية الأهمية: فالكثير منا لا يفقهه مثل هذا، ويظن أن الصرامة في القرارات من قبل القائد تكون الأنجح دائماً، نعم قرار النبي صلى الله عليه وسلم أصوب وأدق، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يتعامل مع عاطفة الشباب واندفاعهم بأسلوب الاحتواء، فلا يفهم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم يقيناً أن الجيش سيهزم في أحد لو خرج خارج المدينة ثم نزل عند رأي الشباب، لأن هذا خلل قيادي وحاشا النبي صلى الله عليه وسلم أن يقع بمثله، وليس الخروج هو سبب الانكسار في أحد، بل مخالفة الرماة هو السبب الحقيقي كما هو معروف، إذ لو تيقن النبي صلى الله عليه وسلم بالهزيمة ثم خرج لكان هذا مخالفة للنواميس الكونية حاشا النبي صلى الله عليه وسلم.

إذن ما أحوج الأمة اليوم إلى مثل هذا الاحتواء للشباب واستيعاب المخالفين منهم، وتهذيب تلك الطاقات الثائرة، فلو كان في المسألة أمر مخالف للشرع فلن يتوان صلى الله عليه وسلم لحظة واحدة في رده ومعالجته. كما حدث في بني جذيمة، فأخرج البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: "بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فقالوا: صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتل ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره فأمر كل رجل منا أن يقتل أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، فذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد مرتين" (٢).

تأمل في قوله صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد"، فهنا المسألة لا بد لها من وضوح وشفافية وليست المسألة مسألة مجاملات لأنها (دماء).

المطلب الخامس: الغلو في الدعوة إلى الله تعالى

وأعني به المبالغة والتطرف في الدعوة إلى المنهج أو الطريقة التي يراد دعوة الناس إليها، وأرى أن هذا النوع هو أشهر الأنواع، وأكثرها انتشاراً اليوم على الساحة الإسلامية، وهو في العادة يكون بين المسلمين بعضهم مع بعض.

فالخلاف بين الناس أمر طبيعي، فطر الله تعالى الناس عليه، وهذا الخلاف قد يكون بين الوالد وولده، وبين الأخ وأخيه وبين الصديق وصديقه وهو مسوخ إذا لم يأخذ إطار الغلو والتطرف في الرأي، وإنكار الآخرين.

(١) أخرجه أحمد ٣/٣٥١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب: بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة ٤/١٥٧٧ (٤٠٤٨).

وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهما لما بعثهما إلى اليمن فقال: "يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطوعا ولا تختلعا"^(١)، فالتيسر والتبشير في دعوة الناس إلى الحق لهما أثر عظيم في نفوس المخاطبين، فأساس اجتماع الناس حول الداعية إلى الله حسن الخلق، ووضوح الدعوة، دون غلو أو تميع، ولا إفراط أو تفريط بل بالحكمة، والحكمة هي وضع الشيء المناسب في المكان المناسب، وتكون باختيار الوقت المناسب، والمكان المناسب، والعبارة المناسبة في دعوة الناس.

ولا بد من مراعاة السامعين واحترام عقولهم وآرائهم وإن كنت تعتقد بطلانها، فأنت تهجم على المرض لا على المريض، أعني تهجم على الفكرة أو المسألة التي تعتقد بطلانها لا على ذات الشخص، ولا تبالغ وتغالي في مسائل ربما لا يحاسبه الله تعالى على فعلها أو تركها، فلا تغلو في موضع التيسر، والغلو مذموم بكل حال والتيسر مطلوب بكل حال، فقد صح في الحديث عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنّ الرفق لا يكون في شيء قط إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه"^(٢)، وكما ذكرت فلا يفهم من التيسر والتبشير تميع المبادئ والقيم بل الوضوح والشفافية في عرض المسألة برحمة وحكمة، لأنك تضيع أحياناً خيراً عظيماً بسبب غلوك في أمر لا يستحق الغلو، وتفقد إنساناً ربما لو سهلت معه وتوسطت لوجدت فيه خيراً كثيراً، كما قال المتنبي^(٣):

موضع الندى في موضع السيف في العلا مضر كوضع السيف في موضع الندى

فكلمة الحق التي لا تخرج في موضعها وزمانها وطريقاتها ربما عادت بالنتائج العكسية على المدعو، وجعلت منه داعية للباطل بدلاً من مدعو للحق فتنبه! وأضرب لهذا مثلاً من السنة يوضحه ما أخرجه البخاري وغيره من حديث عمر رضي الله عنه أنّ رجلاً على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله وكان يلقب حماراً، وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جلده في الشرب فأتي به يوماً فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تلعنوه فو الله ما علمت إنه يجب الله ورسوله"^(٤)، فهنا غالى بعض الحاضرين في عقوبة هذا الرجل ولعنوه، وبالتأكيد سيؤثر اللعن على هذا الرجل سلباً، وربما يصاب بردة فعل كبيرة؛ لذا فالنبي صلى الله عليه وسلم قرر قاعدة عظيمة في علاج هذا الغلو من جهة، وأرسل رسالة تروية لهذا الشارب (عبد الله) من جهة أخرى فقال: (لا تلعنوه... إنه يجب الله ورسوله)، فالرجل أخذ عقابه بالحدّ، فلا طائل تحت (لعنه)، ولا سيما أنّ النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن اللعن، فقال: "ليس المؤمن بطعان ولا لعان ولا الفاحش ولا البذيء"^(٥)، وهذا الرجل حينما سمع مثل تلك

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: ما يكره من التنازع والاختلاف ٣/ ١١٠٤ (٢٨١١)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير

، باب: في الأمر بالتيسير ٣/ ١٣٥٩ (١٧٣٣) من حديث أبي موسى الأشعري، وغيرها من المواضع.

(٢) أخرجه مسلم كتاب: الأدب باب: فضل الرفق ٤/ ٢٠٠٤ (٢٥٩٤) وغيره.

(٣) مجمع الأمثال الميداني ص ٤.

(٤) أخرجه البخاري كتاب الحدود، باب: ما يكره من لعن شار بالخمير ٦/ ٢٤٨٩ (٦٢٩٨)، وغيره.

(٥) أخرجه أحمد ١/ ٤٠٤، وغيره.

العبارة: (يحب الله ورسوله) بالتأكيد تركت في نفسه أثراً أبلغ من الجلد والحدّ، فظهره قد اعتاد على السياط! كما تذكر الرواية.

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم بسكران فأمر بضربه فمنا من يضربه بيده ومنا من يضربه بنعله ومنا من يضربه بثوبه، فلما انصرف قال رجل: ما له أخزاه الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تكونوا عون الشيطان على أخيككم"^(١)، فتأمل قوله: (أخيككم)، فلم يخرج به بذنبه من دائرة الأخوة الإسلامية! واستشعر تلك اللحظة بالنسبة لهذا الرجل وهو أمام نبي الله صلى الله عليه وسلم ويسمع مثل ذلك على وقوعه في كبيرة من الكبائر! وبهذا الأسلوب ملك النبي صلى الله عليه وسلم الرؤوف الرحيم قلوب الناس وعالج آفات كثيرة جداً بالرفق والرحمة.

المبحث الثاني: أسباب الغلو

بالتأكيد للغلو أسبابه ودوافعه، يمكنني حصرها بما يأتي:

المطلب الأول: الحب الشديد

وهذه في العادة تقع للإنسان الصادق المحب الذي يبلغ به حب المحبوب درجة الإفراط حتى يخرج به أحياناً من دائرة البشرية إلى دائرة الإلهية كما فعلت النصارى بعیسی عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وكل من غالى في محبوه بهذه الطريقة فقد سلك سبيل النصارى في ذلك والعياذ بالله.

وقد يبالغ الإنسان في حبه لمحبيه بشكل أقل من ذلك، ولكنه ينفي عن محبوه بعض ما يقع للبشر من أفعال نفي تعظيم وإجلال وهذا أيضاً غلو منه في عنه، وروى ابن عباس أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله"^(٢).

ولهذا لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم كان وقع الخبر على أصحابه كالصاعقة، حتى قال عمر رضي الله عنه وهو ثاني اثنين بعد النبي في الفضل والدين: "ما مات رسول الله..."، إذ أخرج البخاري من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسنح، فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثن الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله قال: بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتين أبداً، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمداً صلى الله عليه وسلم فإنّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حي لا يموت... الحديث"^(٣)، قال الحافظ ابن

(١) أخرجه البخاري كتاب الحدود، باب: ما يكره من لعن شار بالخمر ٢٤٨٩/٦ (٦٢٩٩)، وغيره.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الأنبياء، باب: في قوله تعالى واذكر في الكتاب مريم ١٢٧١/٣ (٣٢٦١)، وغيره.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الجنائز، باب: الدخول على الميت بعد موته ٤١٩/١ (١١٨٥)، وغيره.

حجر: في قول عمر صلى الله عليه وسلم: (ما كان يقع في نفسي إلا ذاك): "بناه على ظنه الذي أداه إليه اجتهاده، وفيه بيان رجحان علم أبي بكر على عمر، فمن دون وكذلك رجحانه عليهم لثباته في مثل ذلك الأمر العظيم"^(١).

المطلب الثاني: البغض الشديد

مثلاً يكون الحب الشديد سبباً للغلو أحياناً يكون البغض الشديد سبباً للغلو في أحيان كثيرة، وكما يقال:

وعين الرضا عن كل عيب قليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا^(٢)

وبغض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته مثال واضح على هذا الغلو المنحرف، فالبغض عبادة؛ ولكنّه منضبط بضوابط شرعية متزنة، فالبغض لا يكون لهوى أو ميل أو مذهب ما؛ وإنما الحب والبغض يكون لله تعالى وفيه، ومنه ما أخرجه أحمد من حديث البراء بن عازب: "إن أوثق عرى الإيمان: أن تحب في الله وتبغض في الله"^(٣).

أما المغالاة في البغض والحب لا على أساس ذلك وإنما هو من قبيل الهوى، وأساس الغلو في الأمة وقع في طائفتين: "طائفة من ضلال الشيعة، الذين يعتقدون في الأنبياء والأئمة من أهل البيت الإلهية، وطائفة من جهال المتصوفة، يعتقدون نحو ذلك في الأنبياء والصالحين، فمن توهم في نبينا أو غيره من الأنبياء شيئاً من الإلهية والربوبية فهو من جنس النصارى، وإنما حقوق الأنبياء ما جاء به الكتاب والسنة عنهم.

المطلب الثالث: إتباع الهوى

قال ابن بطّة: "أعاذنا الله وإياكم من الآراء المخترعة، والأهواء المتبعة، والمذاهب المبتدعة، فإن أهلها خرجوا عن اجتماع إلى شتات، وعن نظام إلى تفرق، وعن أنس إلى وحشة، وعن ائتلاف إلى اختلاف، وعن محبة إلى بغضة، وعن نصيحة وموالاتة إلى غش ومعاداة، وعصمنا وإياكم من الانتماء إلى كل اسم خالف الإسلام والسنة"^(٤)، وقال أبو حازم: "لا يزال الناس بخير ما لم تقع هذه الأهواء في السلطان، هم الذين يذبّون عن الناس فإذا وقعت فيهم فمن يذب عنهم؟"^(٥)، فاتباع الهوى من أهم أسباب الغلو، والنفس ميالة إلى حب ما تميل إليه وتستروح هواها، وما دامت لا تلجم بلجام الدليل فإنها تميل إلى داعي الباطل.

والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على حبّ الرضاع وإن تطفمه ينفظم

المطلب الرابع: الغرور والكبر

وهو إعجاب الإنسان برأيه وعقله، حتى يشعر أنّه فوق جميع الناس عقلاً وفهماً ورأياً، وهل أرى كبار قريش وزعماءها إلا الاستكبار عن الحق، فالكبر والغرور من أهم أسباب الغلو، وحتى على مستوى التعصب والتطرف الفكري والمذهبي فكثير من الناس يدفعهم الغرور والكبر إلى نكران الحق والصد عنه.

(١) فتح الباري ١٠/٤٦٥

(٢) مسند أحمد ٤/٢٨٢.

(٣) الإبانة ١/٢٨٣.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب قتال أهل البغي، باب: فضل الإمام العادل ٨/١٦٣ (١٦٤٣٠).

المطلب الخامس: الجهل

الجهل آفة عظيمة، وكثير من الغلاة آفتهم الجهل ولا سيما عوام الناس، فإنهم يغالون في حب إنسان أو بغضه أو في إثبات مسألة ما أو حكم ما أو نفيه، وهم لا يعرفون إلا ما اشربوا من هواهم، فلا يميزون بين النصوص، ولا يفرقون بين الواجب والمندوب، ولا بين الحكم وتنزيله، والطامة أنّ بعضهم لا يحسن قراءة القرآن، ولا يعرف من السنة إلا تلك الأحاديث التي درّسها ثم تراه يحكم ويفتي في أمور لو كانت على عهد عمر رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر!

وسمة هؤلاء: الجرأة في الأحكام، وقلة الأدب مع العلماء، والثرثرة واللف والدوران حول مسائل معينة لا يتجاوزونها، ولا يعرفون من واقع أمتهم شيئاً، وهذه بلية البلايا وهي برأي آفة الآفات وإنما قتل عثمان رضي الله عنه بمثل هؤلاء الغوغاء الرعاء، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وخطر مثل هؤلاء أعظم على الأمة من غيرهم. فاعتمد هؤلاء الشباب بعضهم على بعض دون الرجوع إلى العلماء، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: "لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم، وعن أمنائهم وعلمائهم، فإذا أخذوه عن صغارهم وشرارهم هلكوا"^(١).

وقال ابن قتيبة: "لا يزال الناس بخير ما كان علماءهم المشايخ، ولم يكن علماءهم الأحداث؛ لأنّ الشيخ قد زالت عنه جدّة الشباب، ومتعته وعجلته واستصحب التجربة في أموره، فلا تدخل عليه في علمه الشبه، ولا يستميله الهوى ولا يستزله الشيطان، والحديث قد تدخل عليه هذه الأمور التي أمنت على الشيخ"^(٢).

المطلب السادس: الكبت والضغط النفسي

وهذه من أبرز الأسباب التي يجب أن نقف عندها ونسلط عليها الضوء بسطوع، فالاجتماع الإسلامي اليوم يعيش ألواناً من الاضطهاد والحرب النفسية تقوده دول ومؤسسات! فالنظام العالمي الجديد يقود حرباً شعواء منظمة على التيار الإسلامي في العالم، ويسخر كل إمكانياته الجبارة لتشويه صورة المسلمين المتدينين، ولا سيما بعد أحداث ١١ أيلول، والواضح لكل عاقل أنّ المقصود ليس التطرف كما يسمونه؛ بل هو الإسلام، عقيدة وعبادة وسلوكاً، وإلا فما علاقة التطرف بمذنة من حجر أو خمارٍ أو جلبابٍ ترتديه فتاة مسلمة في أوربا؟ أين التطرف؟ ومن المتطرف في مثل هذا؟

لو كانت هذه الفتاة المخمرة تمشي عارية لما تعرض لها أحد، تحت شعار الحرية الشخصية، ولكن فتاة تضع قطعة قماش على رأسها أو وجهها باختيارها يُعدّ تطرفاً وتعدياً على الحرية العامة؟! لذا فالمسلم اليوم يعيش حرباً نفسية عصبية جداً في بلاد المسلمين وغير المسلمين، فالمسلم الذي يجب أن تكون علاقته بالدولة علاقة طاعة، وعبادة وتكون أصرته قوية مع أجهزة الدولة المختلفة، باعتبارها وسيلة لتحقيق العدل والمساواة أصبحت تلك العلاقة علاقة ضعيفة أن لم أقل سلبية في أغلب بلاد المسلمين، ويمكنني عزو ذلك إلى أسباب عدة:

(١) رجاله إسناده ثقات، أخرجه ابن المبارك في الزهد (٨١٥)، وابن أبي خيثمة في تاريخه ٣٨٩/٤، والطبراني في الكبير

١١٤/٩ (٨٥٩٤).

(٢) الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي ٤٢٨/١.

أولاً-أسباب أخلاقية: فالجتمتع العربي اليوم أصبح مفتوحاً على العالم، فانتقلت الثقافة الغربية في الجتمتع وتلوثت كثير من المفاهيم الصحيحة على مستوى الأسواق والجامعات والمدارس، حتى اخترق جميع المؤسسات تقريباً، والجتمتع إما ساكت أو مؤيد أو ناكر بقلبه، فيأت الشاب ليجد نفسه أمام هذه المظاهر التي هي حرب على الله ودينه، فيتلفت فلا يجد سبيلاً للتغير إلاّ اللجوء إلى الغلو في الإنكار، وبدلاً من أن يصلح غلطاً وخطأً بصواب، يعالج الغلو بالغلو، والتطرف بالتطرف المقابل. وبدلاً من التكاثف لعلاج تلك السلبيات في الجتمتع وإصلاح تلك المخالفات، راح كثير من الناس يطالبون الشباب بتغيير أفكارهم ومن ثم اتهامهم بالتطرف والأصولية!!

محلات الخمور ودور الدعارة أكثر من مطاعم الوجبات السريعة في كثير من بلاد المسلمين، ترخصها الحكومة؟ وتحميها أجهزة الأمن، فكيف يستطيع الشاب أن يستوعب مثل ذلك؟ وهو يقرأ الآيات والأحاديث التي تحرم ذلك؟ فالحقيقة أن من يجر الجتمتعات الإسلامية إلى الانحلال والفساد هم المتسبون الحقيقيون للغلو.

ثانياً:أسباب سياسية: من المعلوم أن الإسلام يقوم على أساس الولاء والبراء، وهذا المفهوم شرعي ثابت، وأنّ بالغ فيه بعض الناس حتى أخرجوه عن إطاره الشرعي، أو فرط فيه بعضهم حتى جردوه من فحواه وأصبح اسماً بلا مضمون.

فكيف نريد من الشباب أن يجمع بين ذبح اليهود للمسلمين في غزة وغيرها وبين اعتراف كثير من الحكومات العربية بإسرائيل وإقامة علاقات وسفارات؟! أو بين الغرب الذي يحارب الإسلام جهاراً خفياً، وبين العلاقات التجارية والاقتصادية والسياسية معها؟! وحينما يتجرأ الغرب والشرق على دين المسلمين ونبيهم ومقدساتهم، ثم يجد بعض الشباب حكومتهم تقف عاجزة، أو متفرجة، أو مبررة لهذه الممارسات، فبالتأكيد سنجد بعض الشباب سيتطرف نحو جهة ما، وهي بالتأكيد ليست جهة حكومته.

فالحكومة في بعض بلادنا تعتقل خطيباً لأنه صرح أو عرّض بمسؤول في الدولة؛ ولكنها لا تأبه بسب النبي صلى الله عليه وسلم أو الإسلام؟ والأغرب من كل هذا هو اعتقال أحد الدعاة؛ لأنه انتقد مناظره العلماني على قناة فضائية في برنامج الاتجاه المعاكس، هو لم يتعرض لحكومته أو سياستها، ولحد هذا اليوم حسب علمي يقبع خلف القضبان، في حين تجدد الملاهي والمراقص ودور البغاء تملأ هذه الدولة، وموافقات رسمية!! فمن المتسبب للتطرف، ومن المتطرف!

والأعجب من كل هذا أن بعض الحكومات أطلقت شعارات الإصلاح على ما يعتقد المسلم معارضة للشريعة، كالاختلاط غير المنضبط، والإعلام الحر (كما يسمونه) وهي عبارة عن ضرب للقيم والثوابت، والسماح بالبرج للمرأة وغيرها من المخالفات الشرعية، فهذه المسألة تحتاج إلى دراسة معمقة كيما نحقق توازناً معتبراً.

فالشباب حينما يقرأ القرآن والسنة وآثر السلف يجد النصوص الوافرة التي تخالف سياسات كثير من الحكومات فماذا يفعل؟ إما أن يعطل النصوص أو يتطرف ضد حكومته، أما الموازنة فهذه الثالثة تحتاج إلى دور أكبر فعّال من قبل الأنظمة والمؤسسات، لاحتواء الشباب والمحافظة عليه من الغلو والانحراف.

ثالثاً: أسباب اقتصادية: تميز الجتمتع الإسلامي عبر القرون كونه متألّفاً متآزراً يحمل بعضه بعضاً، وقد بكر الإسلام في معالجته الأزمات الاقتصادية وحلّه لمشكلة البطالة والفقر عن طريق قوانين الزكاة والشعور بالآخرين:

"ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه" ^(١)، ولا يقتصر معنى الحديث على مفهوم إطعام الطعام، وإنما يسري ليشمل الحاجات الأخرى، ومصادقه ما جاء عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له"، قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل ^(٢).

والشباب الذي يحيا وينشأ على هذه المفاهيم يتطلع إلى هذه الحياة الكريمة العريضة، ويفاجئ بعد ذلك بالأنظمة الرأسمالية والشيوعية والشيو-رأسمالية ^(٣)، هذا من وجه، ومن آخر: الشاب يكمل دراسته ليجد نفسه أمام بطالة حقيقية، أو بطالة مقنعة، وفي كثير من الدول العربية تجد أصحاب الشهادات عمال بناء أو سواق أجرة فتأمل!

وهذه المعضلة في حياة الشباب قد تتحول إلى فكر مضاد لفكر الدولة الحاكمة، فأصبح الرئيس أو الملك عقدة في أنظار كثير من الشباب في بعض البلاد الإسلامية، وبني حاجزاً كبيراً بين تلك الطاقات الجبارة وبين الدولة؛ وهذا خلاف المنطق؛ لأنّ الشباب الملتزم هم أعرف الناس بحقوق أولي الأمر، وأكثر الناس التزاماً بالنظام، وأخشى الناس لله في الانضباط باللوائح، فيكون مصير الشباب بين هجرة إلى بلاد الغرب والشرق، أو هجرة إلى التطرف والغلو والانعزال عن المجتمع ليكون طعماً سهلاً للأفكار الخطرة المنحرفة.

رابعاً: أسباب إعلامية: تعتبر وسائل الإعلام من أهم الوسائل الحديثة في التأثير في الناس، فالفكرة التي تأتي معضدة بالصورة والصوت أشد تأثيراً من الفكرة المجردة، ولا سيما أنّ كانت هذه الفكرة أو الموضوع يطرح على شكل قصة بالصورة والصوت، فإن وقعها سيأخذ شكلاً آخرًا، ولهذا فإن القرآن الكريم عرض كثيراً من القضايا الرئيسة بشكل قصة.

ومنه ما رواه النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً" ^(٤).

لهذا فإنّ وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة لها أثر عظيم في تكوين صورة معينة في نفوس الناس وأفكارهم، والعجيب أنّ تلك الوسائل منذ أن عرفت ما انتفتت تحارب الإسلام وتحارب القيم والفضيلة... ولو رجعنا إلى الوراء قليلاً لتذكرنا المسرحية المصرية: (مدرسة المشاغبين)، التي استهوت كل طبقات المجتمع آنذاك؛ لأنها استعملت السخرية (الكوميديا) في عرض الفكرة، وهي في الحقيقة قد هدمت القيم في كثير من البلاد العربية

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب: لا يشبع دون جاره (١١٢).

(٢) أخرجه مسلم كتاب اللقطة، باب: استحباب المواسة ٣/١٣٥٤ (١٧٢٨)، وغيره.

(٣) وهذا ما نراه مطبقاً في بعض الدول العربية فنظامها لا هذا ولا ذاك وإنما هو نظام الملك والرئيس فهو شيوعي من جهة المحكوم رأسمالي من جهة الحاكم!

(٤) أخرجه البخاري كتاب الشركة، باب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيه ٢/٨٨٢ (٢٣٦٣) وغيره.

والإسلامية، وأذكر يوم كنا صغاراً في الدراسة المتوسطة (أول ثانوي) قام بعض الطلبة بسرقة (حقيبة المدرسة) على طريقة المسرحية، ووضع بعضهم كرسيّاً مكسوراً لأحد المدرسين فوق المدرس أرضاً! وكان أحد المدرسين يلعب بلقب معين يستهزأ به ويصفق له ويصفق أثناء الدرس! وغيرها من القيم المنحلة التي عرضتها تلك المدرسة المشاغبة، وتأمل كيف تحول هذا الرمز العظيم (المعلم) إلى مهرج وأضحكة، وقارن بقول الشاعر الكبير أحمد شوقي (المصري) وهو يزرع القيم الرائعة:

قم للمعلم ووفه التبجيلاً كاد المعلم أن يكون رسولاً

فهذه المسرحيات وغيرها وإن كانت معولاً هداماً في ضرب القيم الإنسانية والأخلاقية (عموماً) إلا أنها ركزت أكثر على القيم الإسلامية، والرموز الدينية فكانت المسلسلات والبرامج في وقت مبكر تعرض شخصية (المأذون الشرعي) المعمم بشكل رجل سخرية أحرق ساذج!! ثم توالى بعدها الأفلام المتوالية لفنان كوميدي شعبي عادل إمام كـ(الإرهابي)، و(إرهاب وكباب)، ومسرحية (الود سيد الشغال) وغيرها من البرامج الإعلامية التي تستهدف الانتقاص من التيار الإسلامي، ومن الشباب الملتزم، ثم خرجت علينا في السنوات الأخيرة مسلسلات (طاش ما طاش) وهي مسلسلات هدمية بنفس طريقة مدرسة المشاغبين، تهدف إلى تشويه صورة الإسلام وتضرب القيم الإسلامية الثابتة، والسؤال الذي نسأله ههنا لماذا لم نرهم ينتقدون القيم أو الشباب اليهودي أو الصليبي المتطرف الإرهابي؟ أو ينتقدون الممارسات الشاذة لقساوسة الكنيسة التي اذيعت في كل الوسائل الإعلامية؟ أين عادل إمام أو طاش ما طاش أو غيرها من كل ذلك؟ أين هم من مجزرة غزة أو غيرها من قضايا الأمة؟ والذي يعيننا ههنا: أنّ الشاب الملتزم الذي يشاهد مثل تلك البرامج التي تستهدفه وتستعديه، وهي منتجة ومعروضة في قنوات حكومية رسمية ما هو رد فعله المتوقع؟ بالتأكيد سيتجه بعيداً عن الوسطية والاعتدال فالذي يُدين وكلنا ندين التفجيرات الإجرامية التي تستهدف المدنيين الأمنيين لابد أن يدين تلك البرامج المسببة لها، صحيح هناك بعض الممارسات الخاطئة من قبل بعض الشباب بلغت ببعضهم انحرفاً عقدياً وانحرفاً سلوكياً؛ ولكن الغلو لا يعالج بالغلو، والتكفير لا يعالج بالتكفير، والتطرف لا يعالج بالتطرف!

وأمثل بمثال واحد يظهر عظمة النبي صلى الله عليه وسلم في احتواء الشباب ومعالجة الأخطاء مبكراً: فمن ذلك ما روي عن أبي محذورة قال: خرجت في عشرة فتيان مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى حنين فأدّنوا وقمنا نؤدّن مستهزئين بهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اثنوني بهؤلاء الفتيان"، فقال: "أدّنوا"، فأدّنوا، وكنتُ أحدّهم صوتاً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "نعم هذا الذي سمعتُ صوته، اذهب فأذن لأهل مكة..."^(١)، تأمل في هذا الأسلوب النبوي الرائع الذي استوعب هذه الطاقة بهذه الطريقة الرائعة! فلم يتهم دينهم، ولم يعزّزهم، ولم يشعّ عليهم بل أخذهم بين أحضانه الدافئة وغمرهم حباً وعطفاً، فالواجب الملقى على جميع مؤسساتنا احتواء الشباب، واحتضانهم وإشعارهم بدفتها، حتى يشعروا بالانتماء الإيجابي للبلد والأمة، ولا يكونوا مثلاً سهلاً للأفكار والمثلل الدخيلة المنحرفة، ولو وقع هذا الشاب جدلاً بانحراف ما -لا قدر الله- فإنه سيأتي إلى تلك المؤسسات

(١) أخرجه البيهقي في السنن ٣٩٣/١ وغيره.

ليقول: زللت وأخطأت، وهذا الطموح مشروع تجاه الحكومات وتجاه الشباب، وقد أثبت التاريخ أنّ القيم الإسلامية التي يتربى عليها الجيل تؤتي ثمارها يانعة.

وفي مقابل هذا فحري بالمؤسسات الرقابية في بلاد المسلمين أن تنشط وتراقب الإعلام بشكل أفضل، فسموم الأفكار ولوثه أخطر من لوث السلوك، فعليهم مراقبة البرامج التي تحرّض على شباب المساجد، وتنقصهم، وهذه البرامج الهدامة هي في حقيقتها ميسّسة من قبل منظمات ومؤسسات علمية، تهدف إلى إحداث هذا الشرخ، والفصل بين الأمة وشبابها.

وهنا أتساءل: أية دعوة أو فكر أو منظمة أو مؤسسة تربي أبناءها وأتباعها على أنّ طاعة ولاية الأمور واجب شرعي، لا يجوز الخروج عليه إلا أن ترى كفرةً بواحاً، إلا دين الإسلام؟ وأي دعوة تربي أتباعها على أنّ من قُتل دون أرضه فهو شهيد إلا دعوة الإسلام؟ وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنه فقال: "من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد"^(١)، فالشباب المسلم هم بناء البلاد وحماتها، وهم قلبه النابض الذي لا يسكن ولا يكل، ومتى ما سكن أو توقف فإن الأمة ستموت.

فلو تعرّض بلد من بلاد المسلمين إلى الاعتداء فمن يا ترى سيحمل سلاحه، ويقدم نفسه دفاعاً عن البلاد؟ هل الذي أفنى حياته وماله في الصالات الحمراء والملاعب والقمارات، الذي لا يعرف من حياته إلا السجارة والسيارة والسمسارة؟ أم أولئك الذين تربوا في مدرسة التوبة، والأنفال؟ فلا بد للحكومات من المصالحة مع الشباب، والسعي الخيث لاحتوائهم والصبر على ذلك، واستفراغ الوسع والطاقة، ولا بدّ من أن نكون جميعاً كعبد الله بن عباس رضي الله عنه لما وقف الوقفة التاريخية مع الخوارج، ورجع بثلثي الجيش، فالفكر لا بدّ له من فكر، والغلو لا بدّ له من اعتدال، والتطرف لا بدّ له من وسطية لعلاجه، وحق للجميع سائلاً ومسؤولاً أن تراجع أساليبنا في طريقة التعامل مع الشباب، ووضع اليد على الجرح، بدلاً من لعن الظلام، صحيح المسألة معقدة وشائكة وتحتاج إلى وقفات ومراجعات وصبر طويل، لكن الأمر يستحق كل ذلك، وأرى أنّ من أهمّ ما يجب مراجعته: الفتاوي النارية التي يطلقها بعض المشايخ والدعاة هنا أو هناك، تلك التي يؤسس عليها كثير من الشباب قواعد في الغلو، وتعد المادة الدسمة في تطرف الشباب، والغلو الذي وقع فيه الشباب في الأعم الأغلب هو وليد التميع الذي وقع فيه بعض آخر من الدعاة والمربين، ولست ههنا في معرض النقد وإنما أريد التنبيه إلى أننا قد نكون أحد أسباب التطرف ونحن لا ندري.

الخاتمة وأهم التوصيات

ختاماً نقول: إنّ مفهوم الوسطية اليوم أصابه ما أصاب كثيراً من المفاهيم من تشويه، وتحريف، فأصبحت الوسطية تمييع المبادئ والانبطاح أمام الأعداء، مثلما عد بعض الناس التطرف والغلو تمسكاً بالثوابت والقيم.

والحقيقة التي يجب الاعتراف بها هي أن التطرف في زماننا اليوم إنما ولد من رحم التمييز، فمن أراد وأد التطرف فلا بد من وأد التمييز، وهذا هو منهج الأمة الوسط، فهي وسط في كل شيء، في العقيدة والعبادة والسلوك.

فالغلو لا يعالج بالغلو، والتطرف لا يعالج بالتطرف، وإنما يعالجان بالوسطية والاعتدال المنضبط على أساس الحكمة والموعظة الحسنة، فتبين لنا من خلال بحثنا هذا أن الرحمة والرأفة في التعامل مع الغلاة يكون علاجاً ناجعاً أحياناً كثيرة، مثلما كانت القوة والعقاب علاجاً في أحيان أخرى، وقد توصلنا إلى هذه النتائج والتوصيات:

١- الغلو والتطرف آفة خطيرة ومرض عضال تنخران جسد الأمة يجب التصدي لهما بكل الوسائل الشرعية المتاحة.

٢- ضرورة التفريق بين ثقافة الأمة الوسط، وبين ثقافة مسك العصا من الوسط، فالوسطية تعني التمسك بالمبادئ والقيم والتضحية من أجلها، ولا تعني تحريف المبادئ وتمييع الثوابت الشرعية.

٣- دعم البرامج الثقافية المؤتمرات العلمية المتخصصة لنشر ثقافة الوسطية في المجتمع.

٤- العمل الجاد بالتنسيق مع المؤسسات الحكومية، وغير الحكومية لنشر ثقافة الرأي والرأي الآخر.

٥- الابتعاد عن العبارات والشعارات التي تزيد من الهوة بين المسلمين، واستعمال ألطفها في الخطاب الإسلامي.

٦- ضرورة إعادة صياغة الخطاب الإسلامي بشكل حضاري، بعيداً عن الحزبية الضيقة والفئوية المقيتة.

٧- لوسائل الإعلام الدور الأكبر في وأد الفكر المتطرف، وعلاج الغلو في المجتمع.

٧- التنسيق مع الكليات الشرعية والمعاهد العلمية المتخصصة لرفع الساحة الدعوية بالدعاة المعتدلين.

٩- التركيز على الأسرة والمسجد بوصفها المؤثر الأكبر في تكوين الشخصية الإنسانية والقنطرة الأولى في علاج الغلو والتطرف.

١٠- ضرورة التواصل العلمي الدولي بين المثقفين والعلماء، لتلاقح الأفكار والانتقال إلى الخطوات العملية بدلاً من التنظير والتكفير.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، ط ١٩٦٨م. دون ذكر الطبعة.

٣- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، ط ١٩٧٥.

٤- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) دار الخيل، بيروت، ط ١٩٩٠م.

٥- جامع الترمذي الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (٢٧٩هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية.

٦- سنن ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٧٥هـ) ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

٧- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ) دار الحديث، القاهرة، ط ١٩٨٨م.

- ٨- سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ)، ت: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب ط ٢ ١٩٨٦م.
- ٩- السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: د. عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٩١م.
- ١٠- صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة، ت: مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٧٠م.
- ١١- الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل البخاري ٢٥٦هـ ت: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ط ٣، ١٩٨٧م.
- ١٢- صحيح مسلم، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٥٥م.
- ١٣- مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: أنور الباز، وعامر الجزار، دار الوفاء، ط ٣، ١٤٢٦ هـ.
- ١٤- مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الارنؤوط، دار الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.
- ١٥- مصنف ابن أبي شيبة (الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، ت ٢٣٥هـ) ت: مختار أحمد الندوي، الدار السلفية ط ١، الهند.
- ١٦- مصنف عبد الرزاق، الحافظ عبد الرزاق بن همام الصنعاني ٢١١هـ، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، توزيع: المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣هـ.